بـيـئـتـنـــا

يجري على ألسنة الناس هذه الكلمة الرائعة "النظافة من الإيمان" ويسندوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يصح كونها من قول النبي عليه الصلاة والسلام، بل هي في أفضل حالاتها قول لعبدالله بن مسعود، ولكن هناك العديد من الآيات والأحاديث التي تشهد بصحة معناها، وأن النظافة حقاً من الإيمان. ذلك أن الإسلام لم يترك جانباً من جوانب المرء: مأكله ومشربه وملبسه ومطعمه وبدنه بل ومنكحه وعموم هيئته إلا ودعا المسلم فيها إلى النظافة.

١= أهم مظاهر التدهور البيئي:

١- انخفاض إنتاج الحبوب،

٢- انقراض الحيوانات،

٣- تلوث مياه البحار العربية بالنفط والأنهار والمحيطات بالنفايات،

٤- تناقص غابات العالم والتربة والمياه العذبة والجوفية

٢= التوازن البيئي في خلق الكون

أولاً: خلق الله تعالى البيئة بدقة بالغة، فكل شيء عنده بمقدار معلوم، حفاظا على التوازن في الكون،

قال تعالى: "صنع الله الذي أتقن كل شيء"

قال تعالى: "وخلق كل شيء فقدره تقديراً"

وقال: "والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون"

مثال: إذا أخذنا الهواء، كأحد مكونات البيئة، نموذجاً للتوازن البيئي نجد أنه يتكون من عدد كبير من الغازات، قدر كل منها تقديراً بالغ الدقة، يشكل النيتروجين الخامل (N_2)، ٧٨% والاكسجين النشط (O_2) ٢١%، ولو قلت نسبة النيتروجين شبئاً قليلا وسقطت شراره كهربائية من الفضاء الخارجي نحو الأرض لاحترق كل شيء على سطح الأرض. إذ أن هذه النسبة هي التى تضبط وتقنن طبيعة الأكسجين وهو الغاز القابل للاشتعال، حيث يتحول إلى غاز يساعد على الاشتعال ولكنه لايشتعل حتي يظل الأكسجين مؤدياً لوظيفته فى إعالة الحياة.

ثانياً: البيئة يحفظها الله بدروع واقية:

من رحمة الله أن هذه البيئة التى جهزها الله سبحانه وتعالى بكل مقومات الحياة لتصبح بيتاً آمناً للإنسان حفظها الله تعالى من مخاطر الإشعاعات الكونية الفضائية والشهب والنيازك التى تندفع من الفضاء الخارجي نحو الأرض يقول الحق تبارك وتعالى: (وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون).

فقد أثبتت الدراسات أن الغلاف الجوي الذى يحيط بالأرض يضم مجموعة من الطبقات ولكل طبقة وظيفة تؤديها فى إعالة الحياة وحمايتها. وطبقة "الأوزون" تحفظ البيئة ضد مخاطر الأشعة فوق البنفسجية الضارة.

٣= حرمة البيئة في الإسلام

١- **النهي عن إفساد الأرض:**

a. قال تعالى: "فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض".

b. وقال تعالى: "كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين".

c. قال تعالى: "ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس".

٢- **قواعد الشريعة الإسلامية تحمي البيئة،** بقاعدة لا ضرر ولا ضرار، وانطلاقاً من مبدأ استمرار توازنها الطبيعي، الوارد في قوله تعالى: "والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شئ موزون".

٣- **الإنسان مستخلف فى البيئة:**

a. قال تعالى: "وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل فى الأرض خليفة"

b. روى مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: [إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ].

c. ويقتضي واجب الاستخلاف أن يتبع المخلوق ما يأمر به مالك هذه البيئة وخالقها وأن يتصرف فيها تصرف الأمين فيما لديه من أمانات وليس من حق أي فرد أن يتصرف فيما يملك كيفما يشاء.

٥= مظاهر رعاية البيئة في الإسلام:

أولاً: الحث على التشجير والتخضير:

١- خبر أبي داود والترمذي عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: [مَنْ أَحْيَى أَرْضًا مَيِّتَةً فَهِيَ لَهُ وَلَيْسَ لِعِرْقٍ ظَالِمٍ حَقٌّ].

٢- خبر الصحيحين عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ].

٣- خبر أحمد عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [إِنْ قَامَتْ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ].

ثانياً: الحث على النظافة الشخصية:

١- قال تعالى: "إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين" سورة البقرة،

٢- خبر مسلم عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالصَّلَاةُ نُورٌ وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا]

٣- خبر الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: [لَا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ ثُمَّ يَغْتَسِلُ مِنْهُ].

٤- خبر أبي داود وابن ماجه عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [اتَّقُوا الْمَلَاعِنَ الثَّلَاثَةَ الْبَرَازَ فِي الْمَوَارِدِ وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ وَالظِّلِّ].

٥- خبر أحمد وابن ماجه عَنْ أَبِي أُمَامَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: [تَسَوَّكُوا فَإِنَّ السِّوَاكَ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ].

٦- خبر الصحيحين عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [الفطرة خمس: الختان والاستحداد، وقص الشارب، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط][١].

٧- خبر الصحيحين عن ابن عباس قال: مر النبي صلى الله عليه وسلم بقبرين، فقال:" إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من بوله –وفي رواية مسلم–لا يستنزه من البول– وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة" ثم أخذ جريدة رطبة وشقها نصفين، ثم غرز في كل قبر واحدة، قالوا يا رسول الله لم صنعت هذا قال: " لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا].

٨- خبر الترمذي عن سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ قال: إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ جَوَادٌ يُحِبُّ الْجُودَ فَنَظِّفُوا أَفْنِيَتَكُمْ وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ].

٩- خبر النسائي عَنْ أَنَسٍ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: [الْبُصَاقُ فِي الْمَسْجِدِ خَطِيئَةٌ وَكَفَّارَتُهَا دَفْنُهَا].

١٠- وارتبطت نظافة البيئة في الإسلام ارتباطًا مباشرًا بالطهارة سواء طهارة البدن وهو ما يؤكده انتشار الحمامات بالقاهرة ومنشآتها السكنية، أو طهارة المكان والتي تشمل الأسواق والمساجد وغيرها من الأماكن التي يقيم الإنسان فيها بصورة دائمة أو مؤقتة، فالمساجد هي البيوت المعدة لأداء الصلاة ولاجتماع المسلمين لطلب العلم والتفقه في الدين ولذلك الاعتناء بنظافتها.

١١- وفي النكاح، فقد حَرَّم الله تعالى إتيان مناكحة النساء حال حيضهن، لما في ذلك من القذارة والنتن، فيقول تبارك وتعالى: "وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ".

١٢- وأوردت السنة النبوية آدابا كثيرة في النظافة والاغتسال والتطيب وحسن الهندام خاصة في المناسبات العامة كصلاة الجمعة والعيدين، ومن نظافة البدن أيضاً، أن دعانا صلى الله عليه وسلم إلى الغسل فجعله واجباً تارة، وحث عليه أخرى مع كونه سنة ورتب عليه أجراً كبيراً فهو واجب على الجنب وعلى الحائض والنفساء بعد انقطاع الدم، وهو قريب من الواجب في يوم الجمعة إلى جانب التزين بأحسن الثياب والتطيب، وكذا الاغتسال ليوم العيد وللإحرام وبعد غسل الميت وغير ذلك.

---

[١] والمراد بالفطرة الدين، وهي التي فطر الله الناس عليها أي أن هذه الأمور الخمسة من الدين، وهي الختان والمراد به: قطع قلفة الذكر، فإن بقاءها يسبب تراكم النجاسات والأوساخ فتحدث الأمراض والجروح.

والاستحداد: حلق الشعر التي حول الفرج قُبُلاً كان أو دبراً، فإن بقاءها يعرضها للتلوث بالنجاسة، وربما أخلت بالطهارة الشرعية، كما أن ترك الشارب بدون قص، يشوه الخلقة، ويكره الشراب بعد صاحبه، ويوجب التشبه بالمجوس.

ونحن نعرف جميعاً ماذا يسبب عدم تقليم الأظافر، من تجمع الأوساخ، فتخالط الطعام فيحدث المرض. وعدم نتف الإبط يجلب الرائحة الكريهة.ففي هذه الأمور وأمثالها تتجلى مدى ما يريده لنا ديننا من النظافة التامة، وعدم التعرض لشيء من الأقذار التي تسبب أمراضاً على الفرد أو المجتمع، فلم يترك الإسلام خيراً إلا دعا إليه، ولا شراً إلا حذر منه.

١٣- روى ابن ماجه عن أبي أيوب وجابر، وأنس. أن هذه الآية لما نزلت "فيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ"، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [يا معشر الأنصار، إن الله قد أثنى عليكم في الطهور. فما طهوركم؟ قالوا نتوضأ للصلاة ونغتسل من الجنابة؟ ونستنجي بالماء، قال: "فهو ذاك فعليكموه].

١٤- هذا ولا ينبغي التشاغل عن النظافة الشخصية حتى في أصعب الظروف: لخبر أحمد وابن ماجه عن أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ قَالَتْ: [لَمَّا أُصِيبَ جَعْفَرٌ وَأَصْحَابُهُ دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ دَبَغْتُ أَرْبَعِينَ مَنِيئَةً وَعَجَنْتُ عَجِينِي وَغَسَّلْتُ بَنِيَّ وَدَهَنْتُهُمْ وَنَظَّفْتُهُمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ائْتِينِي بِبَنِي جَعْفَرٍ قَالَتْ فَأَتَيْتُهُ بِهِمْ فَشَمَّهُمْ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي مَا يُبْكِيكَ أَبَلَغَكَ عَنْ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ شَيْءٌ قَالَ نَعَمْ أُصِيبُوا هَذَا الْيَوْمَ قَالَتْ فَقُمْتُ أَصِيحُ وَاجْتَمَعَ إِلَيَّ النِّسَاءُ وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَهْلِهِ فَقَالَ لَا تُغْفِلُوا آلَ جَعْفَرٍ مِنْ أَنْ تَصْنَعُوا لَهُمْ طَعَامًا فَإِنَّهُمْ قَدْ شُغِلُوا بِأَمْرِ صَاحِبِهِمْ].

ثانياً: النظافة في ملبس الإنسان ومظهره

الطهارة من شروط بعض العبادات خاصة الصلاة، ولذا شاعت بين المسلمين مقولة "النظافة من الإيمان"

وحيث المثول بين يدي الله تعالى في بيوته مطلوبة شرعاً، يقول الله تبارك وتعالى: "يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ". وقد فسر بعض العلماء الزينة، بما يتزين به المرء، كما هو المتبادر من مدلول الآية.

وروى مسلم في صحيحه عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا، قال –يعني النبي صلى الله عليه وسلم–: إن الله تعالى جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس][٢].

وهناك أحاديث تدعوا أصحاب اليسار المالي إلى إظهار نعمة الله عليهم:

روى الترمذي عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده].

وروى أحمد والنسائي عن جابر، قال: [أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم زائراً، فرأى رجلا شعثاً، قد تفرق شعره، فقال: أما كان يجد هذا ما يسكن به رأسه]. أي ما يلم شعثه ويجع تفرقه.

وروى أحمد والنسائي عن أبي الأحوص عن أبيه قال: [أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي ثوب درن، فقال لي: "ألك مال"، قلت نعم. قال: من أي المال؟ قلت من كل المال، قد أعطاني الله من الإبل والغنم والخيل والرقيق. قال: فإذا آتاك الله مالا فلير أثر نعمة الله عليك وكرامته].

---

[٢] والمراد ببطر الحق تسفيهه ورده وعدم الخضوع له، وغمط الناس: احتقارهم.

فيحذر النبي صلى الله عليه وسلم من أحقر شيء من الكبر فيظن أحد السامعين، أن الزينة قد تكون نوعاً من الكبر، فيخاف الوقوع فيه، ويسأل النبي صلى الله عليه وسلم عما يحب الرجل من جمال المظهر وتحسين الثوب والنعل ويبين صلى الله عليه وسلم، أن ذلك مما يحبه الله تعالى فيقول: إن الله جميل أي متصف بصفات الكمال، يحب الجمال أي حسن المظهر في عبده المؤمن الجميل في باطنه.

ثالثاً: النظافة في المأكل

في الأطعمة، فقد حَرَّمَ الله تعالى ما يعود على الإنسان بالضرر، كالخنزير والميتة،
ولذا سمى الله تعالى كل محرم خبيث في قول تعالى "وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ"، [الأعراف: ١٥٧].

كما أرشد الآكل إلى آداب منها انه لا يترك يده تطيش في الصحفة،
روى الترمذي عن عكراش بن ذؤيب [أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له حين كان يأكل معه فيخبط بيده في الإناء: يا عكراش، كل من موضع واحد، فإنه طعام واحد].

وأما في الشراب: فقد حرم الشارع كذلك ما هو خبيث من الشراب كالخمر والدم،
كما أرشد إلى آداب، هي من صميم النظافة، حرصاً على صحة الإنسان،
روى أبو داود عن أبي سعيد الخدري قال: [نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشرب من ثلمة الإناء، وأن ينفخ في الشراب].

رابعاً: الحث على تنظيف البيئة وعدم تلويثها:

خبر الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [يُمِيطُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ]، و"يميط الأذى عن الطريق الصدقة" هو ما نسميه اليوم: "السلوك الحضاري".
خبر الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ]
بمفهوم المخالفة: من يتصدى للإضرار بالبيئة يكون عمله من الأعمال الدالة على عدم الإيمان أو نقصانه.

خامساً: الإحسان إلى الكائنات الحية:

لفت الأنظار إلى إدراك أهمية الحيوانات في حياتنا والبعد الجمالي فيها: قال تعالي: "والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون. ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون" سورة النحل "
النهي عن قتل الحيوانات أو حبسها عبثاً:
خبر أحمد والنسائي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: [مَا مِنْ إِنْسَانٍ قَتَلَ عُصْفُورًا فَمَا فَوْقَهَا بِغَيْرِ حَقِّهَا إِلَّا سَأَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهَا قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا حَقُّهَا قَالَ يَذْبَحُهَا فَيَأْكُلُهَا وَلَا يَقْطَعُ رَأْسَهَا يَرْمِي بِهَا].
خبر الصحيحين عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: [دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ].

رعاية الله تعالى للتوازن البيئي للكائنات الحية عند الطوفان: قال تعالي: "حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور فاحمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل"

الحث على الإحسان للحيوان وسقايته:

خبر الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فَنَزَعَتْ مُوقَهَا فَسَقَتْهُ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ].

خبر أحمد وأهل السنن عَنْ أبي قَتَادَةَ أن هرة جاءت تشرب من الإناء الذي يتوضأ منه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأَصْغَى لَهَا الْإِنَاءَ حَتَّى شَرِبَتْ، ثم أكمل وضوءه، وقال: إِنَّهَا لَيْسَتْ بِنَجَسٍ، إِنَّمَا هِيَ مِنْ الطَّوَّافِينَ عَلَيْكُمْ أَوْ الطَّوَّافَاتِ].

<u>سادساً: الحفاظ على البعد الجمالي لكل ما يحيط بنا</u>:

خبر مسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: [إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ].

قال تعالى: "ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها، وغرابيب سود، ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك، إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور" سورة فاطر.

خبر مسلم عَنْ جَابِرٍ قَالَ: [نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الضَّرْبِ فِي الْوَجْهِ، وَعَنْ الْوَسْمِ فِي الْوَجْهِ]، ومَرَّ عَلَيْهِ حِمَارٌ قَدْ وُسِمَ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ: [لَعَنَ اللَّهُ الَّذِي وَسَمَهُ].

<u>خاتمة: نظافة البيئة في آخر الزمان</u>:

أخرج الإمام مسلم في صحيحه حديث النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ أن رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حدثهم فيه عن أشراط الساعة بعد نزول عيسى بن مريم إلى الأرض، وفيه خروج قوم يأجوج ومأجوج، وغزوهم الأرض، وتحصن عيسى بن مريم والمسلمين بجبل الطور في سيناء، قال: [فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ، ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ، وَرُدِّي بَرَكَتَكِ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنْ الرُّمَّانَةِ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا، وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ، حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنْ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنْ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنْ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنْ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنْ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنْ النَّاسِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ][٣].

[٣] قوله (نَغَف) دُود يَكُون فِي أَنْف الْإِبِل وَالْغَنَم، وَاحِده نَغَفَة، وهي تسمى داء النغف الدملي – داء الدودة الحلزونيةMyiasis ، ,داء الدودة الحلزونية (أو داء النغف الدملي أو ذبابة الدودة الحلزونية (Myiasis هو مرض يصيب الحيوان أو الإنسان و تسببه يرقات ذبابة طفيلية تسمى الدودة الحلزونية حيث تتغذى على الأنسجة أو الأعضاء الحية للجسم، ويصيب هذا المرض الثدييات (الأبقار، الجمال، الخيول، الماعز، الخراف، القطط، الكلاب)، وقد يصيب الإنسان والطيور أيضا. وفي بعض الحالات القليلة يصيب البرمائيات و الزواحف. وهو منتشر في المناطق الحارة و الرطبة

فانظر رحمك الله : كيف أن الله تعالى من رحمته بعيسى بن مريم والصالحين من المسلمين أن لم يدعهم يعيشون في بيئة ملوثة، بل أرسل لهم وسائل تنظيف البيئة وتطهيرها: الطيور الضخمة التي تحمل جثث قوم يأجوج ومأجوج فتلقيها في البحر لتكون طعاماً للكائنات الحية فيه، ثم هطول الأمطار التي تعمل عمل المطهر، فتغسل الأرض فتتركها كالزلاقة، و"الزلاقة" لها معنيان:

الأول: الأرض الملساء، كناية عن نظافة المكان ولمعانه، ومنه قوله تعالى: "فتصبح صعيدا زلقا"، أي أرضا ملساء ليس بها شيء، ومنها قولهم: زلق رأسه أي حلقها على الزيرو. فالزلقة في الأصل هي المرآة، وقيل ما يتخذ لجمع الماء من موضع نبوعه. والمراد أن الماء يعم جميع الأرض، بحيث يرى الرائي وجهه فيه.

والمعنى الثاني: التربة كثيرة الطين، كناية عن صلاحيتها للزراعة، والأرض المزلق وأرض المزلقة وأرض زلاقة: الموضع الذي لا يثبت عليه قدم.

فالزلقة إما كثرة الماء أو كثرة التربة، وكلاهما ينتج عنه الخير والخضرة. ولذا يعقب ذكر كلمة الزلاقة ذكر مظاهر متعددة من بركة الأرض ورخائها، فيحدثنا النبي صلى الله عليه وسلم عن الأرض يقال لها: "أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ، وَرُدِّي بَرَكَتَكِ"، وينتج عن ذلك أن قرابة الأربعين شخصاً يأكلون ثمرة واحدة من الرمان فتكفيهم في طعامهم، ويستظلون تحت ورقتها، وَأن الله تعالى يبارك فِي الرِّسْلِ أي اللبن، حَتَّى أَنَّ اللبن الذي تنتجه الناقة يكفي الْفِئَامَ مِنْ النَّاسِ، أي الآلاف من الأشخاص، وَاللبن الذي تنتجه اللِّقْحَةَ مِنْ الْبَقَرِ يكفي الْقَبِيلَةَ مِنْ النَّاسِ، أي المئات من الأشخاص، وَاللبن الذي تنتجه اللِّقْحَةَ مِنْ الْغَنَمِ يكفي الْفَخِذَ مِنْ النَّاسِ، أي العشرات من الأشخاص. والمعنى في كل ذلك أن الأرض إذا تم إصلاحها بيئياً فإن الرخاء يعم، والاقتصاد يزدهر، والنفوس تطهر بطهارة الأرض.

الخطبة الثانية

<u>اتصال النظافة بالعلوم الشرعية:</u>

رعاية البيئة تتصل بعدد من العلوم الإسلامية:

ففي علم أصول الدين نرى أن البيئة مخلوقة مثل الإنسان وأنها مكلفة بالسجود لله تعالي وتسبيحه ولكن بطريقة يعلمها الله تعالى، فالإنسان ليس إلها في الكون ولكنه مخلوق من المخلوقات، إلا أنه مميز بالعقل وبالإرادة، فيلزمه ألا يفسد الكون من حوله، وأن ينشر الخير والصلاح بمفهومه الشامل، وأن يعمر الأرض باستصلاح أراضيها.

وينظر الإسلام إلى الأمور البيئية نظر ود وحب، فجعل القرآن الكريم الحيوانات والطيور أمما مثل أمة الإنسان، ونص القرآن الكريم أن الشجر والدواب والجبال والنجوم تسجد لله تعالي مثل الإنسان المؤمن وأنها تسبح ربها.

ويرى علماء الأخلاق المسلمون الكون (البيئة) على أنه آية من آيات الله تستوجب من الإنسان التفكر فيها، وأنه نعمة تستوجب الشكر والمحافظة عليه والاستمتاع بعنصر الجمال فيه وتنمية هذا الجمال؛ لأن كل شيء في البيئة من الضروري أن يظهر فيه بديع صنع الخالق سبحانه.

وقوله (فَرْسَى) كَقَتْلَى لَفْظًا وَمَعْنًى، وقَوْله (لَا يَكُنُّ) أَيْ لَا يَسْتُر وَلَا يَقِي، وقوله (الْعصَابَة) هُمْ الْجَمَاعَة مِنْ النَّاس مِنْ الْعَشَرَة إِلَى الْأَرْبَعِينَ، وَلَا وَاحِد لَهَا مِنْ لَفْظهَا، وقوله (بِقِحْفِهَا) أَيْ بِقِشْرِهَا، وَأَصْله مَا فَوْق الدِّمَاغ مِنْ الرَّأْس، وقوله (فِي الرِّسْل) أي اللَّبَن، وقوله (اللِّقْحَة) النَّاقَة الْقَرِيبَة الْعَهْد بِالنِّتَاجِ، وقوله (الْفِئَام) هي الْجَمَاعَة الْكَثِيرَة، وقوله (الْفَخِذ) هُوَ دُون الْقَبِيلَة وَفَوْق الْبَطْن، وقوله (يَتَهَارَجُونَ) أَيْ يَتَشَاجَرُونَ.

وارتبط علم الفقه وأصوله بالشأن البيئي ارتباطا كبيرا في حالة السلم والحرب على حد سواء، ووضع الفقهاء عددا من القواعد التي تنظم هذا الأمر مثل قاعدة "لا ضرر ولا ضرار"، وأن الشرع أتاح لولي الأمر فرض بعض العقوبات التعزيرية التي من الممكن اللجوء إليها في عصرنا الحالي لمن يسيئون إلى البيئة.

والمحافظة على البيئة داخلة في مقاصد الشريعة الخمسة وهي حفظ الدين والنفس والنسل والعقل والمال، فإفساد البيئة إضاعة لمقاصد الشريعة الإسلامية.

= جهود العلماء المسلمين في المؤلفات عن النظافة البيئية:

١–وضع العلامة الكندي يضع رسالة بعنوان "رسالة في الأبخرة المُصلحة للجو من الأوباء"، "ورسالة في الأدوية المُشفية من الروائح المؤذية"،

٢–ووضع ابن المبرد كتابًا أسماه "فنون المنون في الوباء والطاعون"،

٣–وتكلم ابن سينا بالتفصيل في كتابه القانون عن تلوث المياه ووضع شروطًا تتعلق بطبيعة الماء والهواء المؤثرين في المكان عند اختيار موضع ما للسكنى.

٤–الطبيب الرازي نشد سلامة البيئة في كتابه "رسالة في تأثير فصل الربيع وتغير الهواء تبعًا لذلك"،

٥–تحدث أبو مروان الأندلسي عن فساد الهواء الذي يهب من المُستنقعات والبرك ذات الماء الراكد في كتابه "التيسير في المداواة والتدبير"،

٦–أكد ابن المطران الدمشقي في كتابه "بستان الأطباء وروضة الألباء" ضرورة مراعاة تأثير البيئة عند تشخيص المرض.

٧–وكتب ابن قيم الجوزية في كتابه الطب النبوي فصلاًَ عن الأوبئة التي تنتشر بسبب التلوث الهوائي والاحتراس منها

٨–وصنف العلامة محمد بن أحمد بن سعيد التميمي المقدسي في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي كتابًا كاملاًَ عن التلوث البيئي وأسبابه وآثاره وطرق مكافحته والوقاية منه وجعل عنوانه "مادة البقاء في إصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الأوباء"، وألف التميمي هذا الكتاب لكي يهديه إلى الوزير الفاطمي يعقوب بن كلسي الذي عمل طبيبًا له.

٩–ابن رضوان المصري في كتابه "دفع مضار الأبدان بأرض مصر"

= الوضع البيئي في مصر تاريخياً:

كان الوضع البيئي في مصر قبل قدوم الحملة الفرنسية على مصر وضعاً مزرياً، وتتحدث وثائق كتاب "وصف مصر" – الذي ألفه علماء الحملة الفرنسية – عن كارثة بيئية فظيعة، كانت موجودة في مصر بأكملها، وقذارة منتشرة في كل بقعة وحي وشارع وحارة وزقاق. ويصف الجبرتي بعض ما قام به الفرنسيون من نظافة، لاسيما في حي بولاق، من شق طريق من الأزبكية إلى بولاق أبو العلا[٤].

[٤] ويعد ما كتبه الجبرتي في تاريخه وثيقة تاريخية هامة وفريدة في تاريخ مصر السياسي والاجتماعي، خاصة وأنه يحمل بين جنباته صورة مفصلة عن حياة المصريين الاجتماعية، ويتضمن التأثيرات الموضوعية للحملة الفرنسية على مصر، كما يتضمن فترة هامة من حكم محمد علي بما لها وما عليها. فقد عاش الجبرتي عصر انتقال مصر من حال إلى حال، وصور ما تحمله أهلها من مشقات ودون ما رأى وما سمع وما أحس دون أن ينحاز لحاكم

= في عهد محمد علي:

في عام ١٨١٦م: تشكلت لجنة هندسية للكشف على دور القاهرة فيأمرون بالإصلاح أو الهدم حسب الحالة.

وأمر بإنارة شوارع المدينة، وإيقاد القناديل على أبواب المنازل، وان يخصص لكل ثلاثة حوانيت قنديل، وكان محتسب القاهرة يتابع تنفيذ الأوامر بنفسه.

وأُمر بتنظيف الأسواق وكنس الشوارع ثلاث مرات يوميا، وتجميع القمامة في أكوام، على أن تقوم أربعمائة عربة تجرها الثيران الصغيرة بنقل القمامة خارج المدينة.

وفى عام ١٨٢٩م: أزيلت الآكام الملاصقة للنيل، شمال قصر العيني والتي عرفت بكوم العقارب، وكذلك أزيلت التلال فيما بين حى الناصرية وجاردن سيتي، وغرست بأشجار الزيتون، كما أزيلت الآكام التي كانت تسد الطريق إلى شبرا، بجوار قنطرة الليمون، لتتحول إلى منتزه عام.

وزاد الاهتمام بتشييد الحدائق العامة وغرس الأشجار وعمل التسويات وإزالة التلال الرملية وغيرها، وتوسيع بعض الشوارع وتمهيدها، وردم البرك والمستنقعات. وكذلك عنيت القاهرة بأمور أخرى مثل الإضاءة ومكافحة الحريق.

فى عام ١٨٤٣م: أنشأ محمد على مجلساً للإشراف على تجميل القاهرة، وتعديل شوارعها أسوة بما استحدث بالإسكندرية، فقد كان عدم انتظام شبكة الشوارع يمثل إحدى العقبات الرئيسية أمام تحديث المدينة.

واستحدث محمد على إطلاق أسماء على الشوارع بمدينة القاهرة وترقيم الدور. فقد كانت أسماء الشوارع تكتب على ألواح خشبية باللون الأحمر أو الأسود وتعلق على أول الشارع بمسامير، أما أرقام البيوت فكانت تكتب على باب البيت أو بجواره، والمحلات ليس لها أرقام بل يكتب اسم المحل واسم الشارع على جانب المحل.

= في عهد الخديو إسماعيل:

أعد علي باشا مبارك للخديو إسماعيل مشروعاً عمرانياً ضخما لإعادة تنظيم مدينة القاهرة، فخطط للشوارع أن تمهد وللمدارس أن تشيد، وحول القاهرة بذلك إلى (باريس الشرق)، وكانت تتلخص خطواته فيما يلي:

١–إزالة التلال والخرائب التي كانت تحيط بالقاهرة من جميع نواحيها وتمهيد أراضيها وإعدادها للبناء.

٢–ردم البرك والمستنقعات التي كانت منتشرة فى جميع أنحاء القاهرة مساحتها حوالي ٢٠٠ فدان.

٣–نقل المدافن التي كانت تقع فى وسط القاهرة وتحويلها إلى ميادين وأحياء للسكن .

٤–تزويد القاهرة بالماء الصالح للشرب .

٥–البدء في مشروع مجارى القاهرة والذي انتهى فى سنة ١٩٠٩م.

٦–رصف الطرق وغرسها بالأشجار ووقايتها من القاذورات .

٧– تزويد القاهرة بالحدائق العامة التي تعد بمثابة رئتى التنفس للمدينة.

أو لسلطة. فعلى الرغم من تكوينه الديني، فقد كان رجل دين ودنيا أخذ من كل شيء بطرف، فأشاد بالمظاهر الإيجابية لسياسة الفرنسيين في مصر أحيانا، وندد بأعمالهم المنافية للشرع والدين في أحيان أخرى: فامتدح رفضهم للسخرة، وتشكيلهم الديوان، واهتمامهم بتنظيم القضاء وعنايتهم بالنظافة، ومنعهم دفن الموتى في المقابر القريبة من المساكن، وعدالتهم في الأحكام خاصة خلال محاكمتهم لسليمان الحلبي قاتل كليبر؛ حيث لم يبادروا بقتله، بل سألوه وحاكموه وناقشوا الشهود. كما أبدى إعجابه بنشاطهم العلمي ورغبتهم في البحث والمعرفة وتنظيمهم لقاعة المطالعة التي خصصوها للقراء.

٨–تعمير الأحياء الفقيرة وإصلاحها وتزويدها بمياه الشرب والغسيل.

وروعي في تخطيط هذه الشوارع أن تكون مستقيمة، اغلبها متقاطع على زوايا قائمة، وجعل فى جانبي كل شارع وحارة إفريزا للمشاة، وخصص الوسط للعربات والحيوانات، ورصف أرضها بالدقشوم، ومدت فى جميعها مواسير الماء للشرب والرش وري البساتين، ونصبت فيها مصابيح الغاز للإنارة، كما امتدت شبكة المجارى العمومية فيها.

= وسائل معاصرة لحماية البيئة

١– إيقاظ الضمير الديني في رعاية البيئة وتربية النشء على الوعي البيئي، وتثقيف الجماهير بذلك.

٢– سن بعض القوانين والتشريعات التي تحافظ على البيئة من عبث العابثين،

٣– إيجاد قنوات من التعاون الفعال مع المؤسسات الدولية والإقليمية المهتمة بالبيئة

٤– اعتبار مسؤولية صيانة البيئة والحفاظ عليها هي مسؤولية تضامنية بين الحكومة والمواطنين.

٥– وضع المعايير السليمة في التخلص من النفايات الصناعية.

وإجمالاً: على المسلم أن يكون حريصاً كل الحرص على تنفيذ تعاليم دينه الحنيف، وأن يدرك إدراكًا كاملاً أهمية المحافظة على نظافة البيئة وحرمة إفسادها لأي سبب من الأسباب وأن يكون غيوراً على دينه، وأن يحافظ على نظافة البيئة التي يعيش فيها ؛ لتبقى وتظل خالية من وسائل الأمراض التي تضر بالأفراد والجماعات، وتظل خالية له ولكل إنسان معه يعيش فيها من وسائل الأمراض التي تضر بالأفراد والجماعات.